الحداثة الشعرية (2)

الحداثة عند العرب:

عرف أدونيس الحداثة بأنها الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام وقد تأسس هذا الصراع في أثناء العهدين الأموي والعباسي حيث نرى تيارَين للحداثة:

الأول سياسي **فكري**، يتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم، بدءاً من الخوارج وانتهاءً بثورة الزنج مروراً بالقرامطة، والحركات الثورية المتطرفة، ويتمثل من جهة ثانية في الاعتزال والعقلانية الإلحادية في الصوفية على الأخص. وتلتقي هذه الحركات الثورية الفكرية حول هدف أساسي هو الوحدة بين الحاكم والمحكوم في نظام يساوي بين الناس اقتصادياً وسياسياً، ولا يفرق بين الواحد والأخر على أساس من جنس أو لون.

-أما التيار الثاني **ففني**، وهو يهدف إلى الارتباط بالحياة اليومية، كما عند أبي نواس، وإلى الخلق لا على مثال خارج التقليد وكل موروث عند أبي تمام.

أما كمال أبو ديب فيعرف الحداثة بأنها: " ... هي وعي الزمن بوصفه حركة تغيير،..والحداثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم، وطرح الأسئلة القلقة التي لا تطمح إلى الحصول على الإجابات نهائية، بقدر ما يفتنها قلق التساؤل وحمى البحث، الحداثة جرثومة الاكتناه الدائب القلق المتوتر، إنها حمى الانفتاح.

وقد قسم أدونيس الحداثة إلى أنواع هي:

الحداثة العلمية :وتعني إعادة النظر المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها، وتعميق هذه المعرفة وتحسنها باطراد.

حداثة التغيرات الثورية- الاقتصادية- الاجتماعية- السياسية: فالحداثة الثورية تعني نشوءحركات ونظريات وأفكار جديدة، ومؤسسات وأنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع، وقيام بنى جديدة.

الحداثة الفنية : وهي تساؤلاً جذرياً يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها، وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل، وشرط هذا كله الصدور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون.

مراحل تطور مسيرة الحداثة الشعرية:

مرت الحداثة الشعرية بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى :

وهي المرحلة العقلانية للحداثة التي دشنتها تجربة الشعراء الرواد في أواخر الأربعينيات، وعمقتها تجربة شعراء الخمسينيات. وقد حقق الشاعر العربي في هذه المرحلة للحداثة الشعرية.

+ تقديم موقف جديد تجاه الكون والواقع والمجتمع، وعدم الاستعلاء على الدور الاجتماعي للتجربة الشعرية وصلتها بالواقع.

+ رفض ماهو جامد ومتحجر في الممارسة الشعرية، وإطلاق قوى التجديد والابتكار.

●إعادة خلق اللغة الشعرية، وجعلها قريبة من لغة الحياة والفكر، وهجر ما هو معجمي من صياغات ومفردات كان يحفل بها الشعر التقليدي.

+ الإفادة من منجزات الشعر العالمي، ومن آفاق التي فتحتها حركة الحداثة الشعرية في الأدب العالمي.

+ تحقيق حد معين من التجريب المبرر المرتبط بطبيعة التجربة الشعرية ذاتها.

المرحلة الثانية :وهي المرحلة الرؤيوية للحداثة التي اتضحت بشكل خاص في الستينيات.فقد تم فيها تحقيق هذا الوعي بالذات بمعزل عن وعي بالجماعة، أي كان وعياً بالذات لذات الشاعر نفسه، وهذا هو ما قاد إلى أن يسم التجربة الستينية ببعض السمات الذاتية، والتحرر من النزعة العقلانية والانفتاح على المواقف الرؤيوية.

المرحلة الثالثة :

وهي المرحلة المصالحة بين النزعتين العقلانية والرؤيوية في حركة الحداثة، وتمثلها التجارب الشعرية في فترة ما بعد الستينيات وتستمر إلى الوقت الحاضر.

خصائص شعر الحداثة الفنية:

تميز النص الشعري الحداثي بخصوصيات جمالية ندرج منها:

الغموض: وهو ناتج عن استخدام النزعة الاسطورية والميل إلى استخدام التركيب

أعانق الشرار

أفاجئ الأسوار
في غيمة البخور في أظافر العفريت
أبحث عن أدويس
لعله يرفع لي أيامه معراج
لعله يقول لي، يقول ما تجهله الأمواج[1]

يعمل الشاعر على تكثيف الرموز بشكل لافت (الرموز الأسطورية والرموز الصوفية) يجعل النص قابل للتعدد القرائي.

الاغتراب:

الشعور بالتمزق حيث الصراع بين الروح والمادة والنزعة الاستشرافية المعانقة للمجهول:

هربت مدينتنا

فركضتُ أستجلي مسالكها

ونظرت- لم ألمح سوى الأفق

ورأيت أن الهاربين غدا

جسد أمزقه على ورقي

نارنا تتقدم نحو المدينة

لتهد سرير المدينة

وستعكس وجه الحضور

وأرض المسافات في ناظر المدينة

فهذا التناقض في هذه التراكيب اللغوية يتسم بنوع من الخفاء فالشاعر هنا يجمع بين الحركة والاستقرار سعيا نحو التحرر المطلق

يقول يوسف الخال:

سأخلق فجرا جديدا

إذا الفجر لم يطلع

وأبني غدا يدعيه

الخلود متى يدعي

يكشف النص عن نبوءة واصلة بين الأمل والهزيمة ترتاد المجهول وتتعالى عن الواقع كاشفة عن حيرة وتوتر وبحث وترقب

ويقول إنسي الحاج:

اليوم،في الخامسة فجرا، دخلت إلى غرفة مطلة نافذتها
على دير الراهبات، أمام البيت. نظرت من النافذة إلى
القطعة المرئية من السماء فوق صليب الكنيسة الصغير،
واقشعر بدني للمنظر:
كان نور هذا الصباح الشتائي بدأ يلوح ضعيفًا، ولكن من
وراء الغيوم الكثيفة الحالكة. والمنظر العجيب المرعب الذي
رأيته، في تلك الغيوم، هو وجهٌ كبير من كل قسماته
وأجزائه، من عينين وأنف وجبين وشعر وخدين وذقن
ولحية ... وجه ضخم جاحظ العينين، قاسي النظرة إلى حد
يبعث الفزع. وجه هو نفسه الذي اعتدنا رؤيته في بعض
الرسوم، عبر كل العصور، للشيطان. ليس للشيطان المحتال

المراوغ الموقع في التجربة، بل للشيطان الآخر، البشع،
المجرم، العديم الشفقة، الغول، المفعم بكل ما في الخليقة
المعروفة والمجهولة من بغض وشر

يستخدم الشاعر في نصه هذا تقنيات المونتاج والصور المجزأة لينقلنا من زاوية إلى أخرى ثم يلصق الصور ببعضها في بنية سردية تحمل تفاصيل وصف المكان والشخصية.

ومن النماذج السابقة ندرك أن النص الحداثي يتسم بتضخم الذات ، والشعور بالاغتراب الروحي، واستخدام الغموض عبر الاتكاء على الرمز والأسطورة، والاهتمام بالصورة في التشكيل، مع استخدام الحلم والنزوع نحو المستقبل، والتداخل مع الأجناس الأدبية الأخرى.

وبذلك فالحداثة الشعرية هي تجريب مستمر وحركية دائمة تسعى للتخطي والمراوغة.